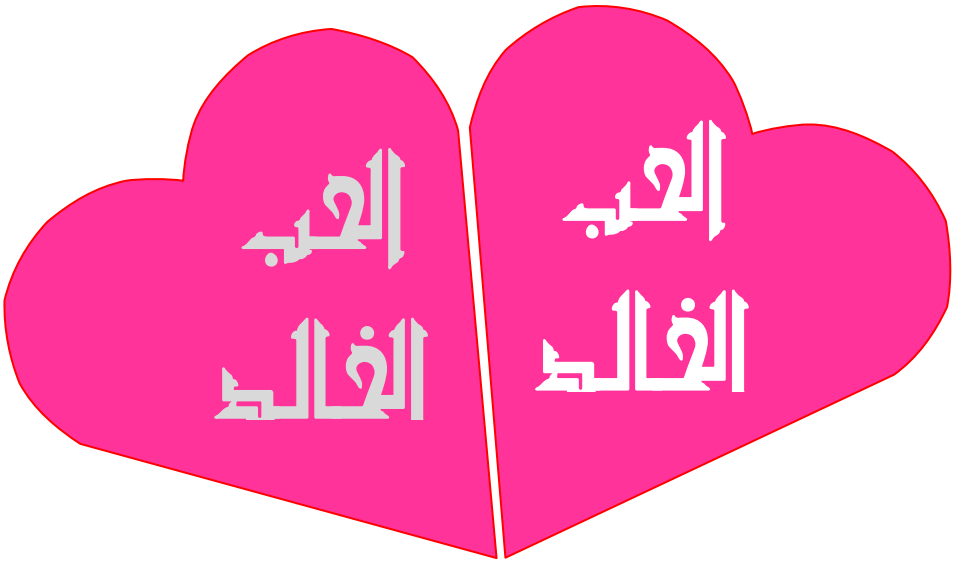

أعظم قصة حب في تاريخ البشرية

تأليف الدكتور:

إبراهيم مُحَمَّد أبو اليزيد خفاجة

١٤٤١هـ ******** ٢٠٢٠م

طبعة خاصة بالمؤلف

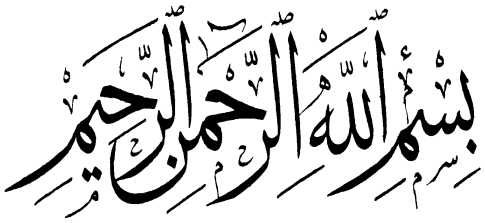

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

- مقدمة: ٥
- بين ربوع مكة: ٩
- الفتى الأمين:..... ١١
- سيدة الثراء الطاهرة:..... ١٣
- الرؤيا العجيبة:..... ١٦
- بداية التعارف:..... ٢٠
- التجارة الرابحة:..... ٢٢
- القلب يخفق من جديد:..... ٢٤
- الزواج المبارك:..... ٢٨
- البيت السعيد:..... ٣١
- في ظلال الأسرة:..... ٣٣
- بشائر النبوة:..... ٣٥
- بداية الوحي:..... ٣٩
- نوائب الزمان:..... ٤٤
- ثبات في الحق:..... ٤٨
- فراق الأحبة:..... ٥٣
- وفاء الحبيب:..... ٥٦

– الخاتمة:.....٥٩

– المصادر:..... ٦١

مقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، وأخص منهم خير من صدق الحديث ووفى، وختم به الرسل الكرام وأوذي فعفا، سيدنا مُحَمَّد بن عبد الله خير من وطأت قدماه الحصى، وأشرف الخلق نسبا وأطيبهم مجلسا، صلاة وسلاما عدد النجم في السماء وفي الأرض عدد حبات الرمال والحصى، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلني ومن اتبع هداه يوم القيامة أقربنا إليه مجلسا، وبعد:

فإن الحب من أسمى العواطف التي ميز الله بها الأحياء على وجه الأرض، بل إنه من أسمى العواطف التي يشعر بها الإنسان، وتجعل لحياته معنى ولوجوده هدفا، ويخطئ من يظن أن الحب عيب أو حرام أو ليس له وجود.

فالله تعالى قد أودع هذه العاطفة قلوب عباده، فكل مخلوق يحب على طريقته، ويتعلق بمحبوبه ويزداد تمسكا به حسب درجة حبه له، وقد ورد ذكر لفظة الحب في القرآن الكريم في العديد من آيات الذكر الحكيم، كما وردت على لسان الحبيب مُحَمَّد (ﷺ) في أكثر من حديث.

وللحب أنواع كثيرة منها المباح، ومنها غير المباح، وتختلف أنواع الحب حسب المحب والمحبوب، فهناك حب العبد لربه وخالقه، ويتمثل في طاعته وفعل ما أوجبه عليه، والبعد عما يسخطه من المعاصي والآثام.

ومنه حب الله تعالى لعبده، ويتمثل في رضى الله تعالى عنه وتأيده له، ورحمته به ولطفه به في تقديره وقضائه.

ومنه حب الصحابة والتابعين لرسول الله (ﷺ)، ويتمثل في الاقتداء به والسير على هديه وحب من والاه وبغض من عصاه.

ومنه حب العبد الطائع للطاعة، ويتمثل في التعلق بها والمداومة على فعلها، والإكثار منها، واستعذاب الجهد الذي يلاقيه فيها. وحب العبد العاصي للمعصية، وحب النفس والهوى، وحب السلطان والجاه، وحب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث. فلا تكاد تخلو حياة البشر من الحب، ولا يعيش إنسان بدون أن يحب شيئا ما ويتعلق به ويطلبه، ويشعر بالسعادة لوجوده ويحزن لفقده وحرمانه.

ومنه حب الأبناء للآباء، ويتمثل في تعلقهم بهم والتأسي بهم والاعتماد عليهم في كثير من شؤون الحياة. وحب الآباء للأبناء،

ويتمثل في الخوف عليهم ودفع الأذى والمكروه عنهم، والسعي من أجل سعادتهم وراحتهم.

ومنه حب الزوج لزوجته، والزوجة لزوجها، ويتمثل في شدة تعلق كل منهما بالآخر، والغيرة عليه، والتضحية من أجله، وبذل ما الوسع من أجل سعادته وإدخال السرور على قلبه.

وعكس الحب الكره أو البغض، وهو النفور من المكروه وعدم الرغبة في قربه، والشعور بالحزن لوجوده، وتتوقف درجة الحب أو الكره حسب حاجة الإنسان للشيء وأهميته بالنسبة له، وبقدر ما يسببه له من سعادة وألم، أو فرح وحزن. وقد يتحول الحب إلى كره وبغض، كما قد يتحول البغض والكره إلى محبة، فالقلوب متقلبة حسب أحوالها وأحوال أصحابها يقلبها الرحمن كيف يشاء كما أخبرنا بذلك رسول الله (ﷺ).

ويعد الحب من أسمى الروابط التي تنشأ بين البشر لا سيما بين الرجل والمرأة ومن أوثق الروابط التي تربط بينهما خاصة إذا سار في طريقه الصحيح وتوج بالزواج الشرعي، ولم ينحرف عن جادة الصواب وكان محوطًا بسياج من الشرع الحنيف، واستمر طوال فترة الحياة الزوجية وبعدها، ولم ينته بموت أحد الطرفين أو فراقه، وهو ما دفعني لكتابة هذه السطور عن الحب الخالد، وأعظم قصة حب في

تاريخ البشر، وأروع علاقة جمعت بين رجل من خير البشر، رجل كان خلقه القرآن، وامرأة من أطهر النساء وأعظمهن شرفا، وأكملهن عقلا، تلك القصة التي تعد من خير قصص الحب العفيف التي يجب أن تَدرَّس لشباب وشابات المسلمين لتكون لهم نبراسا يضيء لهم الطريق، ويرشدهم إلى سبل السعادة والوئام وتعلمهم دروسا لا تحصى في الوفاء، والإخلاص، والصبر في الملمات التي قد تعصف بسعادة الأسرة المسلمة.

إنها قصة حب من أخلد وأنقي وأطهر قصص الحب التي عرفتها البشرية، إنها قصة الحب التي جمعت بين النبي (ﷺ) وزوجته أم المؤمنين الطاهرة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، ذلك الحب الذي نشأ وترعرع في بيت الزوجية، وكان يزداد بمرور الأيام روعة وجمالا، وبهاء وكمالاً، حبا تحدى عواصف الحياة ونوائب الزمان، كلما مرت به شدة ازداد نموا وازدهارا، حبا لم ينقطع يوما في حياة المحبين ولا خبت جذوة ساعة حتى بعد رحيل الحبيبة، فقد استمر هذا الحب في قلب الحبيب مُحَمَّد (ﷺ) بعد وفاة أم المؤمنين (رضي الله عنها) لسنوات وسنوات حتى لحق بها الحبيب مُحَمَّد (ﷺ).

وفي خاتمة القول أرجو من الله تعالى أن يكون في هذه القصة خير عبرة، وأعظم عظة، وأحسن قدوة لشباب وشابات المسلمين، ولكل زوج وزوجة أرادا بناء أسرة سعيدة ..... المؤلف.

(١)

بين ربوع مكة

في تلك البقعة المباركة من الأرض التي اختصها الله تعالى ببيته الحرام، وجعله حرما آمنا يفد إليه الناس رجالاً أو ركباناً وعلى كل ضامر من كل فج عميق ، وشرف أهله بخدمة بيته والقيام بأموره، وبارك لهم في أقواتهم وذرياتهم، بفضل دعوة خليل الرحمن إبراهيم (عليه الصلاة السلام).

وفي ذلك الزمان السحيق الذي اختلط فيه الحق بالباطل، وسيطرت الأطماع والأهواء على النفوس، وعز فيه الطهر والعفاف، وقل من ينأى بنفسه عن صغائر الأمور فضلاً عن كبائرها، واستحوذ الشيطان على النفوس والعقول، فكان فيه صاحب العقل المستنير والخلق الكريم غريبا بين أهله.

في ظل تلك الظروف وفي هذا المكان تحديداً، نشأ بطلي القصة سيدنا مُحَمَّد (ﷺ) وأم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها).

وكان لكل منهما ظروفه الخاصة التي نشأ فيها، وأحداث في حياته مر بها قبل بداية التعارف والزواج، وقد كان لكل منهما من

الأخلاق والطبائع الكريمة التي كان يعزُّ وجودها بين رجال ونساء ذلك الزمان ما جعلهما مضرب الأمثال في الطهر والعفاف فضلاً عن أصالة النسب في مجتمع كان التفاخر فيه بالأنساب من أهم مقوماته.

وكأن الله تعالى قد هيأ كلاً منهما للآخر، وأعده لتحمل مسؤولياته التي اختارها له؛ تلك المسؤولية العظيمة التي اهتزت لها أرجاء المعمورة وأضاءت الأرض بنور ربها بعدما خيم عليها الظلام لسنوات وقرون عديدة، وأزمان مديدة.

فأي رجل هذا يصلح ليكون رسولاً للإنس والجن، ويحمل آخر رسالات السماء للأرض غير مُحَمَّد (ﷺ) الذي اختاره ربه عزَّ وجلَّ ليحمل تلك الرسالة، وأعده لها منذ ولادته، وتعهده بحفظه وعنايته، فلم يسجد لصنم قط، ولم يفعل شيئا مما كان يفعله أقرانه من شباب ورجال قومه؛ بل كان كما وصفه ربه عزَّ وجلَّ في قرآنه على خلق عظيم؟!.

وأية امرأة تصلح لتكون زوجة لهذا الرجل (ﷺ) الذي حمل عبئا تنوء بحمله الجبال، فتشاركه هموم الدعوة وتعينه على تحمل تلك المسؤولية العظيمة، غير خديجة بنت خويلد الطاهرة العفيفة الصابرة المؤمنة (رضي الله عنها)؟!.

(٢)

الفتى الأمين

على الرغم من تلك الظروف الصعبة التي ألمت به (ﷺ) منذ ولادته، حيث توفي والده عبد الله بن عبد المطلب قبل ولادته بشهور قليلة، فولد ولم ير أباه، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وهو في السادسة من عمره فذاق مرارة اليتم والحرمان من حنان الوالدين قبل ولادته وبعدها، فعاش في كفالة جده عبد المطلب الذي توفي هو الأخر، وتركه صبيا لم يشتد عوده بعد، فانتقل إلى كفالة عمه أبو طالب الذي أحسن إليه وحاول جاهداً أن يعوضه عمَّا فقده من حنان الوالدين.

ورغم ما عاناه من فقر إلا أنه استطاع أن يشق طريقه في الحياة بعزيمة قوية وصبر كبير، وحقق ما عجز عن تحقيقه سادات قومه من أصحاب النفوذ والثراء، فالسؤدد والشرف لا يشتريان بمال وإنما يصنعان بعزائم الرجال.

ومع أنه كان (ﷺ) في المال قليل إلا أنه كان في الأخلاق وكريم الخصال عظيم، حتى استحق أن يلقب بالصادق الأمين عن جدارة واستحقاق، فلم يجرب عليه كذب قط، ولم يخن أمانة

أبدا مهما اضطرته الظروف أو اشتدت به الحاجة، حتى لم يؤتمن بين قومه وفي زمانه غيره على الأسرار والأموال، علاوة على رجاحة العقل، وحسن التصرف ، وذكاء البصيرة، وحسن الخلق، ولين الجانب، وأصالة النسب، وعفة النفس وطهارتها، والسلامة من كل ما يدنّس العرض والشرف في زمن قل فيه من يتحلى ولو بصفة واحدةَ من هذه الصفات العظيمة.

هكذا نشأ الحبيب مُحَمَّد (ﷺ) بين ربوع مكة يرعى الغنم مرة، ويتاجر مع عمه مرة أخرى ليكسب عيشه من عرق جبينه، ويكفي نفسه ذل السؤال، ثم يخلو إلى نفسه بعيدا عن قومه، وعن صخب الحياة وزيفها، متجردا من كل متاع الدنيا الزائل في غار بعيد في الجبل يتعبد ويتأمل حقائق الوجود وأسرار الحياة، يحاول جاهدا أن يكتشف سر هذا الكون، ويسبح بتفكيره في أعماق بعيدة لساعات وساعات عله يصل إلى مبتغاه فتهدأ نفسه وتقر عينه، حتى أذن الله تعالى له بالنور الذي أضاء الأرض وما عليها، وهداه إلى طريق الحق، واصطفاه على سائر البشر، وكلفه بحمل رسالته الخاتمة للعالمين.

(٣)

سيدة النساء الطاهرة

في تلك البيئة التي نشأ فيها الحبيب مُحَمَّد (ﷺ) نشأت أم المؤمنين الطاهرة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) وإن تقدمت في ولادتها عليه بعدة سنوات، إلا أنها تلتقي معه في النسب في جدها الأكبر قصي بن كلاب.

ولم تكن خديجة (رضي الله عنها) كغيرها من نساء قومها، فلم تكن امرأة عادية؛ بل كان لها من المناقب والمآثر ما جعلها من أكمل من النساء، وأشرف النساء، وأعلاهن منزلة، وأرفعهن مقاما.

فقد جمعت إلى أصالة النسب، طهارة القلب، ونقاء السريرة، وكرم الأخلاق، وغنى النفس والمال، ورجاحة العقل، وهي مع ذلك كريمة جوَّادة، يضرب بها المثل في الجود والكرم.

ونظرا لسلامتها من كل عيب وما يدنس العرض ويعيب الشرف فقد لقبت في الجاهلية بالطاهرة، وهي فعلا طاهرة مطهرة من كل عيب.

كانت خديجة (رضي الله عنها) مطمحا وأملاً عزيز المنال لسادات قريش وأغنيائها، فكانت حلما جميلاً يراود مخيلاتهم، وكان أمل كل واحد منهم أن يسعده الحظ، ويتشرف بالقرب منها، وكان يبذل في سبيل تحقق هذه الأمنية أغلى ما لديه، والسعيد من يحظى بالزواج منها، أو حتى تقبل خطبته.

ومع ذلك كان لها معيار تقيس به الرجال الذين يتقدمون لخطبتها أو طلب الزواج منها، لم يتحقق في كثير ممن تقدم إليها وطلب يدها للزواج.

ومرت الأيام وبلغت خديجة مبلغ النساء، وكان لابد لها من زوج، فلم تكن أعراف القبيلة يومها لتسمح لامرأة مثل خديجة في جمالها وعزها وشرفها أن تبقى من غير زوج، فتزوجت خديجة (رضي الله عنها) من أبي هالة بن زرارة التميمي وأنجبت منه ابنه هندا، ولكنه توفي وتركها وحيدة وترك لها ابنا صغيرا يحتاج إلى عناية ورعاية.

وتقدم لخطبتها رجل آخر من أشراف قريش وهو عتيق بن عابد بن عبد الله المخزومي فتزوجها، ولكن هذا الزواج لم يدم طويلاً، وهكذا خرجت خديجة من تجربتين مريرتين لم تكد تهنأ

فيهما بحياتها الزوجية حتى تفجع بفراق، ولم يكد يشعر قلبها بالسعادة حتى تتحول إلى حزن عميق.

وعاشت أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) سنوات بغير زوج فلم تكن تقبل الزواج ممن يتقدم إليها من أشراف وسادات قومها، فكان كثير ممن يتقدم لخطبتها يطمع فيما عندها من مال، كما كانت تخشى على ولدها "هند" الذي أنجبته من زوجها الأول.

فكانت (رضي الله عنها) تقيس من يتقدم لخطبتها أو طلب الزواج منها بمقاييس معينة في نظرها، فهي قد جربت الحياة مرتين، وتريد أن تشعر بالسعادة والاستقرار، وكان كل من يتقدم لخطبتها يرسب في اجتياز هذه المقاييس.

وكانت تحلم بزوج طالما تمنته، زوج يحنو عليها ويحميها من أطماع قومها، ويزهد فيما عندها من مال، ويحسن معاملة ولدها اليتيم، ويكون له بمثابة الأب ويعوضه حنان الأب الذي فقده، زوج رأته في تفسير رؤيا عجيبة رأتها في منامها وفسرها لها ابن عمها ورقة بن نوفل، زوج يكون له شأن عظيم بين قومه وبين الناس جميعا.

(٤)

الرؤيا العجيبة

كانت أم المؤمنين خديجة (ﷺ) امرأة عالية الهمة، جياشة العاطفة، كريمة الخلق، واسعة الأفق، راجحة العقل، مفطورة على حب التدين والنقاء والطهر، فكان لصفاتها هذه أثرها في أن تحلق في سماء المعالي، وتجعلها في أسمى المراتب وأعلى المنازل بين أشراف القوم وساداتهم.

اعتادت أم المؤمنين خديجة (ﷺ) أن تتردد على بيت ابن عمها ورقة بن نوفل الذي كان يقرأ كتب الأولين، ويكثر من الحديث عن الدين وعن خالق الأرض والسماوات، وعن الأنبياء وعن النبي الخاتم وقرب موعده، فكانت تتمنى في قرارة نفسها أن يكون لها دور في تلك الرسالة المنتظرة، وهذه النبوة الخاتمة.

وفي ليلة غارت نجومها، واشتد ظلامها، آوت خديجة إلى فراشها بعدما طافت بالكعبة، فأسلمت نفسها للرقاد وراحت في سبات عميق، وكأنها قد صار لها زمان لم تخلد فيه للراحة، أو تسلم جنبها للرقاد، وقد ارتسمت على وجهها علامات الرضى.

ورأت خديجة رؤيا عجيبة، رأت أن شمسا عظيمة تهبط من سماء مكة، وتسقط في دارها وتستقر فيها، وتملأ جوانب الدار نورا وبهاء، ويفيض ذلك النور ليغمر كل ما حولها بضياء يبهر النفوس والأبصار.

أفاقت خديجة من نومها وراحت تقلب نظرها في جوانب الدار، وتدير عينيها هنا وهناك وتنظر فيما حولها بدهشة، فإذا بالليل ما زال يبسط أجنحته على الدنيا، ويغطي الأشياء من حولها بلباسه الأسود.

ولكن ذلك النور الذي رأته مازال مشرقاً في وجدانها ساطعا في أعماق نفسها، لا يمكن لظلام الدنيا أن يمحو أثره أو يقلل من سطوعه وإشراقه.

لم تكن هذه الرؤيا بالشيء العادي الذي يستطيع من يراها أن يخلد للنوم بعدها بسهولة، أو تغمض عيناه دون أن يقلب فكره في محاولة البحث عن تفسير وتأويل لها.

وفي الصباح الباكر ومع أول إشراقة شمس، كانت أم المؤمنين خديجة في طريقها إلى دار ابن عمها ورقة بن نوفل تقص عليه رؤياها عسى أن تجد لها تفسيرا.

دخلت أم المؤمنين خديجة (ﷺ) على ابن عمها ورقة بن نوفل فألفته يعكف على قراء صحيفة بين يديه من الصحف السماوية التي شغف بقراءتها، فرحب بها، وسألها عما جاء بها في هذه الساعة المبكرة. فجلست خديجة وراحت تقص عليه رؤياها العجيبة.

أصغى ابن العم (ورقة) لحديث بنت العم (خديجة) باهتمام شديد جعله ينسى أمر الصحف التي كانت بين يديه، وكأنَّ أمرا عظيما قد حدث ، وأضحى مشدوها بما يسمع، متشوقا لتمام الحديث، متلهفا لمعرفة تمام الرؤيا، وكأنه كان يروي ظمأ روحه التي كانت تتعلق بسماع هذا الخبر منذ أمد بعيد، وتشتاق نفسه لقرب هذه البشارة وحدوث هذا الأمر الذي طالما بشَّر به قومه، وخروج هذا النور ، نور النبوة والرسالة الخاتمة، وكلَّما تقدمت خديجة في قص رؤياها، ازداد قلبه اضطرابا ولسماع حديثها أشد تعلقا، ولم تكد خديجة (ﷺ) تنتهي من قص رؤياها حتى تهلل وجهه بالبشر، وارتسمت على شفتيه علامات الفرح والسرور، وطمأن خديجة (ﷺ)، فقال لها في هدوء ووقار:

" أبشري يا ابنة العم.. لو صدق الله رؤياك ليدخلن نور النبوة دارك، وليفيضن منها نور خاتم النبيين...". يا لها من بشارة.... ويا له من دور عظيم ينتظرك أيتها المرأة الطاهرة النقية....!.

فتهلل وجه خديجة بالبشر وكأن ما قاله ابن عمها قد صادف رغبة في نفسها فسرت في بدنها قشعريرة، وجاشت في صدرها عواطف مشبوبة بالأمل والرجاء في تحقق هذه الرؤيا المباركة.

وظلت خديجة تعيش على هذا الأمل سنوات وسنوات وعبير الرؤيا المباركة التي رأتها يراودها بين الحين والحين، وكم كانت تشتاق لتحقق هذه الرؤيا، فيكون بيتها مصدر الخير للبشرية جمعاء، ومصدر نور يضيء الدنيا كلها....

فكانت إذا تقدم إليها سيد من سادات قريش لخطبتها تقيسه بمقياس الرؤيا التي رأتها، والتفسير الذي سمعته من ابن عمها، فلا تجد أحدًا ممن يتقدم إليها يمكن أن تنطبق عليه صفات خاتم النبيين، فكانت تردهم ردًّا جميلاً، وتخبرهم أنها لا ترغب في الزواج، إلى أن أذن الله تعالى ووجدت ضالتها المنشودة، والتقت بخير الخلق وخاتم الرسل.... ولكن كيف كان اللقاء؟!. وهل كان الأمر سهلاً كما يتصور البعض؟!..... إنها إرادة الله الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.. فهو من دبر لهما اللقاء وقدر لهما الاجتماع وآلف بين قلبيهما من غير تدبير منهما.

(٥)

بداية التعارف

كانت أم المؤمنين الطاهرة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها بشيء تجعله لهم، وكانت التجارة أهم حرفة برعت فيها قريش وأهل مكة، إذ كانوا يخرجون في تجارتهم مرتين في العام مرة في الشتاء إلى اليمن، ومرة في الصيف إلى الشام.

وكانت أسواق مكة وما حولها ملتقى التجار والأدباء كل عام، وكانت مكة قبلة للعرب جميعا يفدون إليه كل عام للحج والعمرة والتجارة.

ولما بلغها ما بلغها عن مُحَمَّد بن عبد الله (ﷺ) من صدق حديثه، وعظم أمانته، وحسن أخلاقه، بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج في تجارتها إلى الشام، مع غلام لها يدعى ميسرة، وتعطيه أفضل مما كانت تعطي غيره من التجار، فقبل الرسول (ﷺ) العرض وخرج بالتجارة إلى الشام.

ونزل رسول الله (ﷺ) في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من بني إسرائيل يقال له بحيرى، فنادي الراهب على غلامها ميسرة وقد كان يعرفه من قبل، فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت ظل الشجرة؟.

فقال له ميسرة: إنه رجل من قريش من أهل الحرم اسمه مُحَمَّد بن عبد الله من بني هاشم.

فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

فتعجب مسيرة من قول الراهب، وأخذ الراهب يسأل ميسرة عنه وعن أخلاقه وشمائله، وميسرة يخبره بما عرفه عنه، والراهب يتعجب مما يذكره ميسرة ويعرض ما يسمعه عن مُحَمَّد (ﷺ) في عقله بما علمه من صفات النبي الخاتم، فتتطابق هذه الأوصاف التي يذكرها ميسرة بما عند الراهب من أوصاف النبي الخاتم الذي بشَّرت به الكتب السماوية من قبل، وكلَّما أخبر ميسرة الراهب بخبر عن هذا الرجل الذي يستظل بظل الشجرة ازداد يقينا بأنه هو النبي المنتظر، وخاتم الرسل الذي بشَّرت به كتب الكتب السابقة، ورأى من العلامات التي يعرفها جيدًّا ما يؤيد لديه هذا اليقين ويؤكده، حتى أنه اقترب منه وتحايل حتى رأي خاتم النبوة الذي ختم به.

(٦)

التجارة الرابحة

باع مُحَمَّد (ﷺ) البضاعة التي خرج بها إلى الشام مع غلام خديجة (ميسرة)، واشترى ما أراد أن يشتري، وربح ربحا وفيرا، وأقبل عليه التجار من كل حدب وصوب لما رأوه فيه من أمانة وصدق حديث وسماحة في البيع والشراء، حتى كان موضع إعجاب كل من كان معه من تجار قومه أو غيرهم ممن وفد عليه من تجار الشام، ثم قفل عائدا إلى مكة بما حقق من ربح حلال.

وفي الطريق إلى مكة رأى ميسرة من كرامات وعلامات النبوة ما لم يره من قبل، إذ كانت الشمس تحرق الوجوه وتلفح الأجساد بحرارتها الشديدة، وكان كلما اشتدت حرارة الشمس إذا به يرى غمامة لم ير مثلها من قبل تظل صاحبه ورفيق رحلته مُحَمَّد (ﷺ) وهو يسير على بعيره، فيزداد إعجابا به وتيمنا بصحبته.

ويقلب فكره فيما أخبره به بحيرى الراهب في بلاد الشام من صفات النبي الخاتم الذي طال انتظاره وقرب موعد ظهوره، علاوة على ما رآه منه من عظيم الخصال ومحاسن الأخلاق، فيزداد به إعجابا وبه تعلقا.

وصل مُحَمَّد (ﷺ) إلى مكة وأقبل على خديجة وقدم إليها مالها وما اشتراه لها من بضاعة أهل الشام، فباعت وأضعفت الربح، وفرحت فرحا شديدا بما حققه لها (ﷺ) من ربح وفير، وكسب حلال، وما حل بمالها من بركة لم تر مثلها مع من استأجرته قبله من رجال قومها.

وأخذ غلامها ميسرة يحدثها عما رأى من معجزات وكرامات مُحَمَّد (ﷺ) وهو معه في رحلة التجارة، وما قاله له الراهب ببلاد الشام وما رآه من إظلال الغمام له وحمايته من قيظ الشمس وهجير الصحراء.

وكيف كان التجار يفدون على تجارتها من كل حدب وصوب، ويتهافتون على الشراء من بضاعتها دون غيرها ممن خرج معهم من تجار مكة، وما قاله تجار الشام في حق مُحَمَّد (ﷺ) وإعجابهم به وثنائهم عليه، فهم لم يعهدوا تلك الأمانة وذلك الصدق من قبل في أحد غيره من التجار الذين يفدون عليهم كل عام، وما رأوه فيه من السماحة وكرم الأخلاق ونبل الصفات.

(٧)

القلب يخفق من جديد

أصغت خديجة لحديث ميسرة باهتمام شديد، وأخذت تستعيد ذكريات أحاديث سابقة لابن عمها ورقة بن نوفل عن نبي آخر الزمان، وعن تأويل الرؤيا المباركة التي رأتها من قبل، وأن شمسا تسقط من سماء مكة في دارها فيضيء نورها أرجاء الدار وما حولها، وراح صوت ورقة بن نوفل يتردد في مسامعها وهو يقول لها: أبشري يا ابنة العم، لو صدق الله رؤياك ليدخلن نور النبوة دارك، وليفيضن منها نور خاتم النبيين..... وكأن هذا الكلمات منذ ذلك الحين ما زالت غضة رطبة في مسامعها كأنها تسمعها الآن رغم مرور الأيام.

انتقلت خديجة من سيل ذكرياتها إلى الواقع الذي تحياه، نظرت وفكرت في مُحَمَّد (ﷺ) فإذا هو يملأ صفحة خيالها، ويراود طيفه أحلامها.

اجتمعت القرائن والدلائل عندها على أن مُحَمَّدا (ﷺ) هو نبي هذه الأمة، وهو الرحيق الذي يختم به الأنبياء الذي تحدث عنه ابن عمها ورقة بن نوفل، والذي أخبر عنه بحيرى الراهب، والذي وردت أوصافه في كتب الأولين من أهل الكتاب، ووقر ذلك الظن في قلبها

حتى أصبح يقينا لا شك فيه، فباتت ترجو أن تكون زوجا له، وتنعم بالقرب منه، ولكن أني الطريق إلى ذلك؟!.

إنها امرأة عريقة النسب ممدودة الثراء، وقد عرف عنها الحزم والعقل، ومثلها مطمح لسادات قريش، لولا أنها كانت تحقر كثيرا من الرجال الذين يتقدمون لخطبتها لأنهم طلاب مال، وكانت أعينهم تنظر إليها بغية الرفادة من مالها وكان طلبهم للزواج منها عنوانا لهذا الطمع...

ولكنها عندما رأت مُحَمَّدا (ﷺ) وجدت ضربا آخر من الرجال، وجدت رجلاً لا تستهويه الثروة، ولا تدنيه حاجة، جمع إلى أمانته وصدق حديثه كرم الخلق، وعفة النفس، فما تطلع إلى مالها ولا جمالها، ولكنه أدى ما عليه ثم انصرف راضيا مرضيًّا، أما غيره ممن استأجرتهم في تجارتها فقد وجدت فيهم الشح والاحتيال.

من هنا أدركت خديجة أنها قد وجدت ضالتها المنشودة، وأنه قد آن الأوان ليخفق قلبها من جديد بالحب، وأن ما تمنته وحلمت به كثيرا بات قريبا من التحقق، ولكن كيف الطريق إلى ذلك...

وفي غمرة الحيرة والاضطراب التي كانت تعصف بها دخلت عليها صديقتها "نفيسة بنت منبه"، ولاحظت ما بها من تغير، وما

بدا عليها من علامات الحيرة والقلق، وقد حاولت خديجة أن تخفي سرها عن صديقتها التي لم تخف عنها سراً من قبل، ولكن نفيسة جلست معها تجاذبها أطراف الحديث حتى استطاعت أن تنتزع منها السر الكامن في صدرها، والذي ترتسم علاماته على محياها وفي نبرات صوتها.

حاولت نفيسة تهدئة صاحبتها خديجة وطمأنة خواطرها، وذكرتها بأنها ذات حسب ونسب ومال وجمال، وأنها مطمح لأشراف الرجال، واستدلت على ذلك بكثرة الطالبين لها من أشراف القوم وساداتهم، ولكن هيهات أن تهدأ نفس المحب المعجب قبل أن يحظى بلقاء الحبيب.

خرجت نفيسة من عند خديجة تفكر كيف يمكنها أن تساعد صاحبتها في تحقيق أمنية طال انتظارها، وكيف تدخل على قلبها السعادة والسرور وتعوضها عن أيام الحزن والشقاء التي ألمت بحياتها السابقة، وهي تعرف عنها كل شيء فهي من هي في الكرم والسخاء والعفة والطهارة، وعراقة النسب، والجمال، فهي قد جمعت في خصالها كل فضيلة ترغب الرجال في الزواج منها، ولكن هيهات أن يخفق قلبها لأي رجل ما لم تتوفر فيه تلك الصفات التي طالما حلمت بها، وها هي قد وجدت ما تبحث عنه في شخص مُحَمَّد (ﷺ).

فانطلقت نفيسة ولم تتردد لحظة إلى بيت رسول الله (ﷺ) وأخذت تحدثه تلميحا وتصريحا في أمر الزواج من السيدة الطاهرة خديجة بنت خويلد، وقالت له: يا مُحَمَّد ما يمنعك أن تتزوج؟.

فقال (ﷺ): ما بيدي ما أتزوج به.

فقالت نفيسة: فإن دعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة فهل تجيب؟.

فقال (ﷺ): ومن؟.

فقالت نفيسة على الفور: خديجة بنت خويلد.

فقال (ﷺ): إن وافقت قبلت.

سرت نفيسة بهذا الرد وانطلقت إلى صاحبتها خديجة تزف إليها البشرى، وتخبرها برغبة الرسول (ﷺ) في الزواج منها، فسرت بذلك وانفرجت أساريرها عن ابتسامة أشرق لها وجهها، وأضاءت الأمل في قلبها من جديد، وأخذت تمني نفسها بالسعادة والأمن في زواجها الجديد بخير رجل عرفته قريش وخير زوج حلمت به.

(٨)

الزواج المبارك

أخبر النبي (ﷺ) الصادق الأمين أعمامه برغبته في الزواج من الطاهرة خديجة بنت خويلد، فذهب أبو طالب وحمزة وغيرهما إلى عم خديجة عمرو بن أسد لخطبتها منه نظرا لوفاة والدها، وساقوا معهم الصداق.

وفي ذلك المجلس قام أبو طالب بين الناس خطيبا فقال: "الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضئ معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه، وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا، وجعلنا الحكام على الناس، أما بعد:

إن ابن أخي هذا مُحَمَّد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح عليه برا وفضلاً، وشرفا وعقلاً، ومجدا ونبلاً، فإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، وعارية مسترجعة.

ومُحَمَّد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق كذا وكذا...، ثم هو بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل".

ثم قام ورقة بن نوفل ابن عم خديجة فقال مقالة قريبة من مقالة أبي طالب، وتم العقد وذبحت الذبائح ووزعت على الفقراء، وفتحت دار خديجة للأهل والأقرباء وفرح الأهل والأصدقاء واغتم الحاسدون والغرماء، وانتشر الخبر بمكة كلها فعمت الفرحة أرجاء المكان، وسعد الناس بهذا الزواج المبارك، وزف العروسان إلى بيت الزوجية، وأخذت ظلال السعادة ترفرف على بيت خديجة من جديد، وكانت أم المؤمنين الطاهرة في ذلك الوقت في الأربعين من عمرها، ونبي الله (ﷺ) في الخامسة والعشرين.

ولم تكن خديجة تقبل بالزواج من مُحَمَّد (ﷺ) في هذا السن وقد عرفت برجاحة عقلها وذكاء فطنتها، ما لم تجد فيه من كريم الخصال ما يدعوها لقبول مثل هذا الزواج، فهي ليست بالفتاة الطائشة، ولا بالعجوز الخرفة، فهي في سن اكتمال الرشد والعقل، وقد وجدت فيه كمال الرجولة وأصالة النسب، وعفة النفس، وحسن الخلق.

وما كان مُحَمَّد (ﷺ) ليقبل الزواج من تلك المرأة وهو في ذلك السن، ولو كانت تملك كنوز الدنيا كلها، ولو كانت أبهى النساء جمالا، لو لم ير فيها من عظيم الخصال ما يدعوه إلى نكاحها، فقد رأى فيها رجاحة العقل، ونقاء السريرة، وكرم الأخلاق، وأصالة النسب، وعفة النفس، وما شهد لها به قومها من حميد الفعال والخصال.

ولهذه الأسباب وافقت رغبة خديجة (رضي الله عنها) رغبة مُحَمَّد (ﷺ).

وقد صدق الله ظنهما، فكان مُحَمَّد (ﷺ) نعم الزوج ونعم الحبيب، ونعم الأب، كما كانت خديجة (رضي الله عنها) نعمت الزوجة، ونعمت الحبيبة، ونعمت الأم على مدي خمس وعشرين عاما متصلة من الزواج المبارك، رفرفت فيها السعادة على البيت المبارك، حتى رحلت الحبيبة الغالية عن الدنيا وتركت حبيبها يواجه الصعاب مع قومه بمفرده.

(٩)

البيت السعيد

لم تكن خديجة ﵂ تعلم أن القدر قد خبأ لها أسعد أيام حياتها، وأن الله تعالى سوف يعوضها عما قاسته في حياتها السابقة بزواجها من خير البرية وأكرم الناس خلقًا ونسبا مُحَمَّد بن عبد الله (ﷺ).

فها هي السعادة ترفرف بجناحيها على بيت السيدة الطاهرة، فقد وجدت في رسول الله (ﷺ) خير الأزواج، فهو لطيف المعشر، سابغ العطف، كريم الخلق، عفيف اليد واللسان، كامل الرجولة، عظيم الرحمة، كثير الفضل، صادق الحديث، يفيض قلبه رقة وحنانا تغمر كل من حوله.

فأحبته خديجة حبًّا شديدًا، وتعلق به فؤادها تعلقًا كبيرا، وبذلت في سبيل إرضائه وسعادته كل ما تملك من جهد أو مال، فلم تبخل عليه يوما بحبها كما لم تبخل عليه بمالها، ولم تتحمل يوما أن تراه مغموما أو حزينا (ﷺ).

كما أحب النبي (ﷺ) خديجة (رضي الله عنها) حبا أكبر من حبها له، وتعلق قلبه بها، وأخلص لها في حبه، ولم يقصر يوما في حق من حقوقها أو يدخر وسعا في إدخال السعادة والسرور على قلبها والبر بها والوفاء لها حتى بعد وفاتها، ولم يطمع يوما في مالها أو يركن على ما عندها من مال، بل كان يعمل ويكد ليكسب قوته ويعيل أسرته ويلبي احتياجاتهم، ولم يدخر وسعا في سبيل إسعادهم وتحقيق الحياة الكريمة الآمنة لهم.

وقد وجد (ﷺ) في أم المؤمنين الطاهرة دفء الزوجة، وحنان الأم، وإخلاص الصديق، ورزقه الله منها الولد دون غيرها من النساء، وكانت من السابقين الأولين الذين اتبعوا رسالته، وواسته بمالها، وغمرته بعطفها وحنانها، وأيدته بكل ما تملك، فاستحقت بجدارة أن تكون أحب زوجاته إليه، وأن يسلم الله تعالى وجبريل عليها ، ويبشرها بخير منزلة في الآخرة وهي؛ بيت من قصب (ذهب) لا صخب فيه ولا نصب.

(١٠)

في ظلال الأسرة

وهكذا مرت الأيام وانقضت السنون والسعادة تغمر أرجاء بيت الحبيبين المبارك، ذلك البيت الذي كان عماده المودة والرحمة، وفرشه الحب والعطف والاحترام والتقدير، فلم يدخر أحد من أفراده يوما وسعا في إدخال السعادة والسرور على من فيه، وكان كل من يعيش بداخله يشعر أنه أسعد الناس وأحسنهم حظًّا لما وجده في هذا البيت المبارك من حسن معاملة وكريم الخصال، وما يفيض بين جوانبه من حب وعطف ليس لهما مثيل.

وإذا أحبت الزوجة زوجها وتملك حبه من قلبها حاولت بكل وسيلة ممكنة أن تدخل السرور على قلبه.

فها هي أم المؤمنين خديجة تقابل رسول الله (ﷺ) بعد عودته ذات يوم إلى بيته، وقلبها يخفق من شدة الفرح، وترتسم على وجهها ابتسامة تزيل كل هموم الدنيا، وتبشر حبيبها بنبأ جعل قلبه يهتز من شدة الفرح، تلك البشري التي يسعد لها كل زوج ويتمناها من الله تعالى.

فقد أخبرته بنبأ حملها، وأن ستكون بإذن الله تعالى أما لأولاده، ففرح رسول الله (ﷺ) بتلك البشرى الغالية فرحا كبيرا وحمد الله على ذلك.

ومرت الأيام وتتابعت الذرية المباركة فولدت السيدة أم المؤمنين الطاهرة لرسول الله (ﷺ) أبناءه القاسم، وعبد الله، وفاطمة، وأم كلثوم، وزينب، ورقية.

وكان الزوجان الحبيبان ينظران إلى تلك الأسرة المباركة بصدر منشرح وقلب مفعم بالحب والحنان، ولم يدخرا وسعا في إسعاد أبنائهما أو تربيتهما تربية صالحة مباركة.

وكان كل منهما زوجا مثاليًّا محبا عرف كيف يدخل السعادة والسرور على قلب حبيبه وأبنائه.

وكلما طالت العشرة بينهما ازداد حب كل منهما للآخر، وإعجابه به، فعاشوا جميعا حياة هادئة مستقرة، على الرغم من تلك الأحداث العظيمة التي مرت بها الأسرة المباركة، وما لا قوه بعد ذلك من قومهم من عنت وقسوة، فصمدوا جميعا في وجه تلك الأهوال صمود الجبال.

(١١)

بشائر النبوة

لقد جمع النبي (ﷺ) في نشأته وتربيته وأخلاقه وصفاته من الخصال الحميدة والأخلاق الرفيعة ما جعله طرازا فريدا من الناس.

فقد كان (ﷺ) صائب الفكر، سديد النظر، صادق القول، لين الجانب، رحيم القلب، جميل الخلقة والخلق، مترفعاً عن الدنايا.

وكان (ﷺ) أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأعزهم جوارا، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا، وألينهم عريكة، وأعفهم نفساً، وأكرمهم يدا، وأبرهم عملاً، وأوفاهم عهدا، وآمنهم أمانة، وكان كما قالت أم المؤمنين الطاهرة خديجة بنت خويلد: "يحمل الكَلَّ، ويكسب المعدوم، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق".

وكان كما وصفته أم المؤمنين المبرأة عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنها) عندما سئلت عن أخلاقه فقالت: "كان خلقه القرآن".

وكان كما وصفه الله تعالى في كتابه الكريم على خلق عظيم.

وقد مر (ﷺ) في حياته بأحداث عظيمة تدل على اختيار الله تعالى له، واصطفائه على سائر البشر، وإعداده لمهمة عظيمة سوف تغير وجه البشرية جمعاء، وتعهده الله تعالى بحفظه وعنايته، فحدثت من الدلائل والمعجزات منذ يوم ولادته ما يدل على أن هذا المولود القادم إلى الدنيا سوف يكون له شأن عظيم، وشرف ليس لغيره من البشر.

وقد اعتاد النبي (ﷺ) أن يعتزل أندية قومه، بما يتناولونه فيها من معاص وآثام، وهدر لكرامة الإنسان، فلم يشاركهم يوما في شرب للخمر أو السجود لصنم.

ولم يكن يرضى عمَّا يحدث في تلك الأندية من لهو ومجون، وعبث، وإلغاء للفطرة السوية، وطمس للعقول التي ميز الله بها الإنسان عن غيره من سائر الأحياء.

فكان (ﷺ) يخلو بنفسه بعيداً عن مكة في غار حراء كل عام في شهر رمضان، يتأمل ويتعبد ويفكر في أسرار الكون وحقائق الوجود، يرجو من الله الهداية، ويطلب منه المخرج من

تلك الحيرة التي تتخبط فيها البشرية جمعاء، ويحاول أن يهتدي بقلبه وعقله إلى الحق، ويقلب بصره وفكره في السماوات والأرض وفي الكون من حوله، ويتأمل عجائب الخلق، وبدائع الوجود الأيام الطوال، ثم يعود إلى قومه فيجدهم كما تركهم في ضلالهم يعمهون، فيتزود مرة أخرى، ويخلو خلوته الأولى، وهكذا حتى يمر الشهر الكريم، وحتى يصفو قلبه، وتسمو روحه ويقترب من الحق ويبتعد عن الباطل.

فيعود من خلوته وكأنه ولد من جديد، وكأن روحه تسبح في فضاء الحق الذي طالما بحث عنه، فتقر نفسه ويهدأ قلبه، وتسكن جوارحه، وتزداد روحه ونفسه تعلقًا بالحق جلَّ وعلا، وتتكشف له حجب الغيب، فلم يكن يرى رؤيا إلا تحققت مثل فلق الصبح.

وعندما تزوج من أم المؤمنين الطاهرة (رضي الله عنها) وعرفت عادته هذه، احترمت رغبته، وساعدته في خلوته، فكان تزوده لها بنفسها، وكثيرا ما كانت تقلق عليه من ذلك المكان النائي الموحش فتذهب للاطمئنان عليه ثم تعود إلى بيتها لترعى أبناءها، وقد ضربت في ذلك أروع المثل في احترام الزوجة المحبة الوفية لرغبات الزوج الحبيب، وتقديرها له، والوقوف إلى جواره بكل ما أوتيت من قوة في سبيل تحقيق هذه الرغبة.

فلم يتطرق الشك يوما إلى قلبها من جدوى خلوته هذه، والبعد عنها وعن أبنائهما الأيام الطوال، بل كانت له خير معين على هذه الخلوة، ولم يدفعها حبها الشديد له وتعلقها به إلى الغيرة أو السخط لبعده عنها، ولم يمنعها خوفها عليه في ذلك المكان البعيد الذي لا أنيس ولا جليس فيه من احترام رغبته وتحقيق أمنيته.

إنها حقًا مثل للزوجة المحبة التي تحب زوجها بكل كيانها وتحاول إرضاءه بكل سبيل؛ بل إن حبها له يدفعها إلى التضحية من أجله، وتحمل المشاق في سبيل إرضائه وتحقيق رغبته.

فأية حبيبة هذه التي تتحمل هجر الحبيب لها الأيام الطوال ؟!.

وأية زوجة هذه التي تستطيع تحمل بعد زوجها عنها وعن أبنائهما، وتتولى هي مسؤولياتهم حتى يرجع إليهما بعد رحلته هذه دون أن تسخط أو تتضجر من هذه المسؤولية، لو لم تكن زوجة محبة وحبيبة وفية ؟!.

(١٢)

بداية الوحي

مرت السنون ورسول الله (ﷺ) على عادته هذه من الخلوة والبعد عن الناس، حتى أذن الله تعالى للفجر أن ينبلج، وللشمس أن تشرق، ويعم نورها أرجاء الكون فيهدي البشرية إلى طريق الحق وجادة الصواب بعد قرون طويلة وعصور مديدة ظلت تتخبط فيها في جاهلية وظلام.

وتحديدًا عندما بلغ النبي (ﷺ) سن الأربعين من عمره سن اكتمال الرجولة واكتمال العقل، وفي الثلث الأخير من شهر رمضان المبارك، وفي ذلك المكان النائي في غار حراء بعيدًا عن مكة، أشرقت شمس الإسلام فعمَّ نورها أرجاء الكون، وأضاءت الأرض بنور ربها.

وهنا تحدثنا أم المؤمنين المبرأة عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) عن تلك البداية فتقول: " أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه – أي: يتعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن

يرجع إلى أهله يتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ.

قال: ما أنا بقارئ؟.

قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ.

قلت: ما أنا بقارئ؟.

فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم*.....) [سورة العلق].

فرجع بها رسول الله (ﷺ) ترتجف بوادره، حتى دخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زملوني، زملوني.

فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: أي خديجة، ما لي؟. وأخبرها الخبر، ثم قال: لقد خشيت على نفسي.

قالت له خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتَكسب المعدوم، وتَقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك!.

فقال له ورقة: يا ابن أخي ما تري؟.

فأخبره رسول الله (ﷺ) خبر ما رأى، فقال ورقة له: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله (ﷺ): أو مخرجي هم؟!.

قال: نعم! لم يأت رجل قطُّ بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك حيًّا أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي".

وهنا تتجلى صورة مشرقة من صور أم المؤمنين الطاهرة، وتتكشف لنا بطولة من بطولاتها الكثيرة الرائعة، التي كثيرا ما تتحفنا بها في سيرتها العطرة وفي حياتها مع رسول الله (ﷺ).

فها هي تقابل الحبيب بعد طول غياب بقلب حنون ، ونفس صابرة محتسبة، وعقل راجح، فطمأنته وواسته بما علمته

فيه من كريم الخصال وحميد الفعال، وبما آتاها الله من يقين صادق، ونفس مؤمنة.

ولم تكتف بما عندها بل تأخذه بعدما هدأ روعه، وسكنت نفسه، واطمأنت جوارحه من جراء ما ألَمَّ به في الغار، وتذهب إلى أعلم أهل زمانها علها تجد عنده تفسيرا لما حدث وما رآه زوجها الحبيب في ذلك الغار البعيد.

وعندما يخبرها ورقة بن نوفل الخبر العظيم، ويبشرها البشرى التي طالما حلمت بها وتمنتها، نجدها تقرر ومنذ اللحظة الأولى أن تتبع الهدى، وأن تقف في سبيل نصرة الحق بكل ما أوتيت من قوة، وهي تعلم مقدار ما سوف يواجهها من عنت قومها وشدتهم، ضاربة بذلك أروع المثل للزوجة المؤمنة الصابرة المحتسبة المحبة لزوجها المستعدة للتضحية من أجله بكل غال.

فلم يكن لامرأة سواها أن تهيئ لزوجها الجو الذي يساعد على التأمل، وأن تبذل له من نفسها في إيثار نادر ما أعده لتلقي رسالة السماء.

وما كان لزوجة سواها أن تستقبل هذا الخبر العظيم بمثل ما استقبلته به من حنان كبير، وعطف فياض، وإيمان راسخ، دون

أن يساورها في صدقه أدنى ريب، أو يتخلى عنها يقينها في أن الله عز وجل غير مخزيه أبدا.

ولم يكن في طاقة امرأة غيرها مترفة منعمة، ذات منصب وجمال، سيدة في قومها أن تتخلى راضية عن كل ما ألفت من راحة ورخاء ونعمة طواعية لتقف إلى جانب زوجها في أحلك أوقات المحنة، وأعظم أيام الشدة، وتعينه على احتمال أفدح ألوان الأذى وصنوف الاضطهاد في سبيل ما تؤمن به من الحق.

لقد من الله تعالى على رسوله بتلك الزوجة الصالحة المؤمنة الصابرة المحتسبة، وجعلها له ملاذاً وأمنا، وسكنا مطمئنا يسكن إليه، وكانت أول قلب يدخل الإسلام إليه، ويغمره نور الإيمان، وكان بيتها أول بيت تشرق منه نور الهداية ويملأ النور جوانبه ويغمر من فيه جميعا، ثم يفيض على من حوله بالرحمة والسكينة والهداية.

(١٣)

نوائب الزمان

الحياة لا تدوم على وتيرة واحدة، فكما فيها الصحة والعافية فيها المرض والسقم، وكما فيها الغني فيها الفقر، وكما فيها السعادة فيها الهم والحزن، وهكذا تمضي الأيام شدة وفرج، وترح وفرح.

وفي مواقف الشدة يظهر الرجال، ويتميز العدو من الصديق، وتبتلى النفوس، وتكشف عن ضمائرها، وتظهر معادن الناس.

والإنسان في وقت شدته يكون مثل الغريق الذي يريد النجاة فيتمسك ولو بقشة عسى أن تساعده على مواجهة ما به من شدة، ويريد كل منا في وقت شدته ممن حوله مواساته والوقوف إلى جواره في محنته، ويتوقع ذلك منهم خاصة المقربين إليه، فيأنس بهم ويركن إليهم، ويجد في قربهم العزاء لما أصابه، وفي أنسهم مخرجا من همه وضيقه.

والزوجة المحبة لزوجها التي تستحق أن يملك حبها قلبه وجوارحه، وتحفر ذكراها في ذاكرة الأيام بمداد من نور هي الزوجة التي تقف إلى جواره في شدته، فكما ذاقت معه حلاوة الرخاء، تصبر معه في أيام العناء راضية محتسبة، غير ساخطة أو مكرهة.

وهكذا كان حال أم المؤمنين الطاهرة مع الحبيب مُحَمَّد (ﷺ) فقد ظلت (رضي الله عنها) ملازمة له طيلة ربع قرن من الزمان تشاركه كل شيء، تشاركه أفراحه وأتراحه، ويسره وعسره، وتؤيده وتؤازره بكل ما أوتيت من قوة، فلم تكن تدخر جهدا في دفع ما به من ضر، أو تفريج ما به من هم، فاستحقت بذلك ثناء الله ورسوله عليها، واعترافه بفضلها عليه، وتعلق قلبه بها، وحزنه الشديد لفراقها، وحنينه لكل ما يذكره بأيامها العطرة بعد وفاتها.

فقد أمر الله تعالى رسوله (ﷺ) أن يجهر بدعوته بعد سنوات من السر، من هنا أدركت أم المؤمنين الطاهرة عظم المسؤولية الملقاة على عاتقها، فهي تعلم قومها وشدتهم، وتعلم حجم المواجهة التي سوف يتعرض لها الحبيب مُحَمَّد (ﷺ) الذي ملك حبه فؤادها من هؤلاء القوم جفاة القلوب غلاظ الأكباد.

فما زالت كلمات ابن عمها ورقة بن نوفل عن عداء قريش لرسول الله (ﷺ) وإخراجهم له من مكة تدوي في مسامعها، فيزداد قلقها عليه وخوفها مما قد تؤول إليه الأمور، ولكن قلبها المؤمن ويقينها بنصر الله، وما تعلمه من صدق رسول الله (ﷺ) كان يشد من أزرها ويقوي عزيمتها على الاستعداد للمواجهة والتضحية بكل ما آتاها الله من قوة.

فكانت كلما تعرض رسول الله (ﷺ) لأذى من قومه واسته وشدت من أزره، وفرجت عنه ما يلاقيه من هم وحزن، وذكرته بأحوال الأنبياء السابقين وما تعرضوا له من صنوف الأذى والاضطهاد، وبشَّرته بقرب الفرج، فيهون عليه ما يلاقيه من قومه من شدة وعنت.

وكانت كلما اشتد إيذاء المشركين لرسول الله (ﷺ) ازدادت هي صبرا ويقينا وثباتا ومؤازرة له، وتعايشت مع كل مواقف الشدة التي تعرض لها هو وأصحابه، ولم تتخلى عنهم يوما.

فقد كانت تبذل من مالها ما استطاعت حتى تخفف من عنت المشركين وقسوتهم على مُحَمَّد (ﷺ) وأصحابه.

لقد تعلمت من حبها لرسول الله (ﷺ) ومن معاشرتها له، واقتدائها به في كثير من الأحوال الثبات في الحق بكل ما أوتيت من قوة، والثقة في نصر الله، واحتساب الجهد في سبيل الله، وفي سبيل نشر دعوة التوحيد، وهداية البشرية إلى الحق الذي أذن الله به.

فهي تستمع لرسول الله (ﷺ) وهو يدعو أصحابه إلى الثبات واليقين في نصر الله، ويحثهم على الصبر والثبات على الحق، عندما طلبوا منه أن يستنصر لهم ويدعو الله تعالى لهم، فيقول (ﷺ) لهم: " لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق اثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ما يخاف إلا الله".

وتحدث نفسها أفلا تكون هي أحق بهذه الموعظة، وأجدر بالقيام بها من غيرها، إرضاء لله أولاً، وطمعا في ثوابه ثانيا، ووفاء لحق الحبيب (ﷺ) ثالثا، لا سيما أنها أقرب إنسان إليه، وأحب بشر إلى قلبه، فيزداد عزمها قوة، وتزداد نفسها إصرارا على تحمل الشدائد والصعاب معه مهما بلغ مداها.

(١٤)

ثبات في الحق

لقد كان ما جاء به رسول الله (ﷺ) من الحق، وما دعا إليه من نور أمنية عزيزة طالما تمنتها الفطر السوية والنفوس السليمة.

وكانت المبادئ التي تقوم عليه دعوته، وما عرف من أخلاقه وفضائله، نبراسا أضاء الطريق نحو الهداية، لكثير من أولى الألباب، وأخذ بأيديهم إلى شاطئ الأمان، وأخرجهم من الظلمات التي خيمت على الكون قروناً عديدة، وتخبطوا فيها غياهبها سنوات مديدة إلى دنيا أخرى جديدة، وحياة مشرقة سعيدة، وفجر جديد للإنسانية التي ألغيت على مر العصور السابقة.

فأعادت هذه الدعوة للإنسان حريته وكرامته، وكشفت عن قلبه وعقله ما ران عليهما من جهالات وخرافات السنين، وأبانت له طريق الحق والهداية، وأرشدته إلى سواء السبيل.

فأحب أصحاب مُحَمَّد (ﷺ) مُحَمَّدا ودعوته، وما جاء به من الحق، حبا ملك جميع جوانبهم، وتشبعت نفوسهم وقلوبهم بالإيمان الذي اشتاقوا إليه لسنوات كثيرة، فكان حب الله ورسوله أحب إليهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وتمنوا لو أنهم يفدوون رسول الله بأنفسهم وأموالهم، وما كان أحد منهم يتحمل أن يصاب رسول الله (ﷺ) بأذى ولو بشوكة يشاكها.

وكانوا كلما ازداد تعذيب المشركين لهم وتنكيلهم بهم ازدادوا تمسكا بذلك النور، وحبا للرسول (ﷺ)، فما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا لما أصابهم في سبيل الله، وفي سبيل نصرة دينه وتأييد رسوله، وكان هذا حالهم جميعا.

وأذن الله لهم بالهجرة لما بلغ بهم الأذى مداه، فغادروا الأهل والأوطان واتجهوا إلى الحبشة، وقلوبهم تدمى لفراق من أحبوا وعلى رأسهم خير البرية ومعلم البشرية، وكانوا يعدون الأيام والليالي ويستعجلون العودة ليكونوا بالقرب من الحبيب مُحَمَّد (ﷺ)، فينهلوا من نبعه الصافي، ويتزودوا من فيض علمه وحكمته ما يصلح دنياهم وأخراهم، على الرغم مما لاقوه في دار هجرتهم الأولى من حسن معاملة وكرم وفادة.

فكيف كان حال أم المؤمنين الطاهرة وهي ترى تلك القلوب المؤمنة تتعلق بحبيبها ورفيق حياتها كل هذا التعلق؟!.

لا شك أنها كانت تشعر بالفخر والاعتزاز أنها زوجة له، وأما لأبنائه، وتغمرها السعادة وتعمر قلبها الفرحة، ويزداد حبها وتعلقها به، فهي كانت تعلم من البداية أنه سيكون له شأن عظيم، وها هي قد صدق الله ظنها ، وتحققت رؤياها، وها هو النور يهبط من السماء في دارها فيغمرها، ويفيض على ما حولها فيبهر القلوب قبل الأبصار.

وكان حال أم المؤمنين الطاهرة كحال جميع صحابة رسول الله (ﷺ) في حبهم لرسول الله (ﷺ) والرغبة في التضحية من أجله ومناصرته بكل ما أوتيت من قوة، بل زادت عليهم أضعافاً كثيرة.

يتجلى ذلك في مواقفها الشجاعة معه في سنوات الحصار الغاشمة التي فرضتها قريش على مُحَمَّد (ﷺ) وأتباعه وقومه من بني هاشم من خلال تلك الصحيفة الظالمة التي عرفت بصحيفة المقاطعة.

فقد اغتاظت قريش لما رأت أن أصحاب مُحَمَّد (ﷺ) عندما هاجروا فارين من بطشهم وقسوته إلى أرض الحبشة، قد نزلوا بلدا أصابوا فيه أمنا واستقرارا، وفشلوا في محاولاتهم لإرجاعهم مرة أخرى، وأن أصحاب مُحَمَّد (ﷺ) كل يوم في ازدياد، ودخل دينه أناس من علية القوم ومن لهم شأن بينهم كعمر بن الخطاب، وحمزة بن عبد المطلب عم الرسول (ﷺ) وغيرهما، ولم يعد دينه قاصرا على الضعفاء والعبيد.

فأجمعت قريش أمرها وعزموا على إخراج الرسول وأصحابه وقومه من مكة إلى أحد شعابها، وكتبوا في ذلك صحيفة ظالمة تعاهدوا فيها على ذلك الأمر وعلقوها في جوف الكعبة، واتفقوا فيها على ألا يتعاملون معهم ببيع أو شراء أو نكاح، أو أي نوع من أنواع المعاملة.

كما منعوا عنهم الطعام والإدام، فكانوا لا يجدون شيئا مما يقتات به إلا سارعوا بشرائه دونهم ومنعوهم منه.

واشتد الحصار، وقطع عن رسول الله (ﷺ) وأصحابه ومن معه من بني هاشم وبني عبد المطلب الطعام والشراب حتى ساءت حالهم ولجأوا إلى أكل الأوراق والجلود، وضعفت

الأبدان، ومرضت، وعجز كثير منها عن المقاومة فاستسلم للموت.

واستمرت هذه الحال وهم صابرون على ما أصابهم من أذى، حتى أذن الله بالفرج وسعى أقوام في نقض هذه الصحيفة الظالمة وكسر الحصار، وعادت الحياة إلى مجاريها من جديد.

وظلت أم المؤمنين الطاهرة مع حبيبها (ﷺ) في ذلك الموقف العصيب تقف من ورائه وتشد من أزره، وتشاركه في تحمل الأذى من قومه، فكانت تعصب بطنها من شدة الجوع والعطش، مستهينة بما تلاقيه من أذى وشدة، محتسبة ذلك عند الله تعالى، ولم تجزع لما أصابها في سبيل الله.

بل كانت تبذل من مالها راضية محتسبة في سبيل تخفيف أثر هذا الحصار الظالم، ما يعجز كثير من الأثرياء عن إنفاقه، وتشح نفوسهم به.

ولم تستأثر دون قومها ومن معها في الحصار بشيء، بل كانت وزوجها (ﷺ) مثلا في التضحية والإيثار، والمواساة والعطف، وقوة التحمل والصبر.

(١٥)

فراق الأحبة

انطلق المسلمون من الشعب –وهو مكان ضيق بين جبلين– الذي حوصروا فيه بعد ما أذن الله تعالى بفك هذا الحصار الغاشم، وبدأوا يستأنفون نشاطهم من جديد.

ولم تكد تمر أيام قلائل، حتى فجع رسول الله (ﷺ) بفقد أحب الناس إليه، وتوالت عليه الأحزان تلو الأحزان حتى سمي هذا العام بعام الحزن.

فقد أصيب رسول الله (ﷺ) بفقد أحب الناس إليه، وأقربهم إلى قلبه، وأعظمهم إخلاصا وحبًّا له، فقد توفيت زوجته أم المؤمنين الطاهرة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) أم أبنائه ورفيقة عمره، وأحب الناس إلى قلبه، فيالها من فاجعة! وما أعظمها من مصيبة!.

ولم تكد تمر أيام قلائل حتى توفي عمه أبو طالب الذي كثيرا ما وقف أمام صناديد قريش من أجله، ودافع عنه ومنعه منهم بكل ما يملك، وبكل ما آتاه الله من قوة، ولم يكن يسمح لأحد أن يقربه بسوء مهما كلفه ذلك.

وفقد رسول الله (ﷺ) بوفاة عمه الذي رباه ورعاه، وزوجته الحبيبة أم المؤمنين الطاهرة التي واسته وآزرته، أهم سندين له في حياته، وأحب الناس إلى قلبه، وحزن المسلمون لفقدهما حزنا شديدا.

وخرج (ﷺ) في العام نفسه إلى الطائف يدعو أهله إلى الإسلام لعله يجد بينهم من يؤازره، ويستجيب لدعوته، ولكن لم يستجب منهم أحد، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم، فحز ذلك في نفسه (ﷺ) واشتد حزنه، وأخذ يدعو الله تعالى أن يفرج عنه هذا الكرب الذي تنوء بحمله الجبال.

ولا يشعر بألم هذا الفراق الصعب، ويحس بلوعته إلا من تعلق قلبه بمن أحب، وأخلص له في حبه مثلما أحب الرسول (ﷺ) زوجته وعمه.

بل لقد كان حزن النبي (ﷺ) على فراق زوجته الحبيبة الطاهرة أكثر من أي شيء...

فها هو يحس ببرد أنفاسها حوله، ويرى أبناءه الصغار الذين تركتهم له فيزداد وجده عليها، وحزنه على فراقها، ويمر طيفها أمام عينيه في كل ركن من أركان البيت، وخمس وعشرون سنة من العشرة الطيبة تمر ذكرياتها العطرة كل لحظة أمام ناظريه، فلم يذكر لها أنها

أغضبته يوما أو قصرت في حق من حقوقه، أو بخلت عليه بعطفها وحبها، أو حتى مالها.

لقد كانت أم المؤمنين الطاهرة من أجلِ نعم الله تعالى على رسوله (ﷺ) وأعظمها، فقد آزرته في أحرج الأوقات، وأعانته على إبلاغ رسالته، وشاركته مغارم الجهاد، وواسته بنفسها ومالها، وحنت عليه ساعة قلق.

وكانت نسمة سلام وبرٍ رطبت جبينه المتصبب من آثار الوحي، وبقيت معه ربع قرن من الزمان تحترم قبل الرسالة تأمله وعزلته وشمائله، وتحمل بعد الرسالة كيد الخصوم، وآلام الحصار، ومتاعب الدعوة.

فاستحقت بذلك رضي الله ورسوله عنها وأن تقر عينها، وتبشر ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

كما استحقت ثناء رسول الله (ﷺ) عليها ووفائه لذكراها العطرة طيلة حياته، فقد أثنى (ﷺ) عليها فقال:" كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد". [متفق عليه].

(١٦)

وفاء الحبيب

ضرب الحبيب مُحَمَّد (ﷺ) أروع المثل في الوفاء، وفاء الزوج المحب لزوجته الحبيبة الطاهرة أم أبنائه، ورفيقة عمره، وأول زوجة وأول صدّيقة، وأول مؤمنة.

فلم يتزوج عليها امرأة غيرها حتى ماتت، بل كان عظيم الوفاء لذكراها ويشتاق للحديث عنها وعن أيامها النضرة، ويحسن إلى كل من كان له علاقة بها من صديقات وقريبات، كما كان يكثر من الثناء عليها حتى غارت منها أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) رغم موتها ورحيلها عن الدنيا.

فقد قالت عائشة (رضي الله عنها): "ما غرت على نساء النبي (ﷺ) إلا على خديجة، وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله (ﷺ) إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة"، قالت: فأغضبته يوما فقلت: خديجة! فقال رسول الله (ﷺ): " إني قد رزقت حبها". [متفق عليه].

وعندما أتت إليه أختها هالة بنت خويلد قام ورحب بها وبسط لها رداءه وأحسن إليها أعظم إحسان، وكذلك فعل مع أحد صويحباتها عندما دخلت عليه.

وعندما سألته عائشة ﵂ عن سر هذه المقابلة الطيبة أخبرها أنها كانت تدخل على خديجة، وقال لها: "إن حسن العهد من الإيمان". [متفق عليه]

وكان (ﷺ) كلّما ذكر خديجة لا يسأم من الثناء عليها وتعداد فضائلها ومناقبها، فقد قال عائشة (﵂): "كان رسول الله (ﷺ) إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثنائه عليها واستغفاره لها، فذكرها يوما فحملتني الغيرة فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن، قالت: فرأيته غضب غضبا أسقط في خلدي (الخلد: البال والخاطر)، وقلت في نفسي: اللهم إن أذهبت غضب رسولك عني لم أعد أذكرها بسوء. فلما رأى رسول الله (ﷺ) ما لقيت، قال: كيف قلت؟! والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، ورزقت منها الولد وحرمتموه مني"، قالت: فغدا وراح علي به شهرا".

وهكذا استطاعت أم المؤمنين الطاهرة خديجة بنت خويلد أن تحظى بحب أطهر وأعظم قلب، وأن يتملك حبها أركانه

وجوانبه، قلب خير البشر وخاتم الرسل مُحَمَّد (ﷺ)، كما استطاعت بحبها له أن يكتب اسمها بمداد من نور في صفحات التاريخ المشرقة، وأن تكون من السابقين الأولين إلى الجنة ونعيمها، والفوز برضوان الله تعالى وسلامه، فرضي الله عنها وأرضاها، وأقر عينها ما استحقت من منزلة.

الخاتمة

وهكذا رحلت الحبيبة الغالية أم المؤمنين الطاهرة خديجة بنت خويلد (ﷺ) عن دنيا الناس، ولكنها لم ترحل أبدًا عن دنيا الحبيب، فلم ترحل ذكراها أو يرحل حبها يوما من قلب حبيبها مُحَمَّد (ﷺ).

وهكذا تكون قصص الحب الخالدة التي ترويها الأيام، وتغذيها المشاعر النبيلة الصادقة، وتعطرها مواقف التضحية والإيثار، ويظللها الوفاء في أسمى صوره وأروع أشكاله، وفاء في الحياة وبعد الممات.

ذلك الحب الذي يجمع بين قلبين يسيران معا في طريق الحياة، ويخوضان معا كل ما فيها من تجارب بحلوها ومرها، فيزداد القلبان بمرور الأيام تعلقًا وببعضهما تمسكًا، مهما كانت شدة العواصف وكثرة التحديات.

ذلك الحب الذي يسير وفقًا لما أحل الله تعالى، ويحوطه سياج الشرع الحنيف، فيهنأ به الحبيب والحبيبة، ويكون لهما المعين الذي لا ينضب، فيغذي أرواحهما بأسمى وأرق المشاعر التي عرفتها الإنسانية، والتي قد تجمع بين رجل وامرأة.

ولعل في هذه القصة الطيبة من الحب الصادق والوفاء النادر، وحسن المعاشرة، ما يدفع بكثير من شبابنا وشاباتنا وأزواج المسلمين وزوجاتهم إلى الاستفادة منها، وتصحيح نظرتهم إلى تلك العاطفة السامية التي يجمع الله بها بين قلوب عباده وهي عاطفة الحب، فيتعلمون منها كيف يكون الحب، وكيف تكون التضحية من أجل الحبيب، وكيف يكون وفاء الحبيب لحبيبه.

ذلك الحب الذي تسمو فيه الأرواح على غرائز الأبدان وشهواتها، فتحلق في سماء صافية من الأحاسيس النبيلة، وتسبح في فضاء من المشاعر الرقيقة، البعيدة عن الأنانية والمادية.

والله تعالى أسأل أن يجنبنا الزلل، وأن يؤلف بين قلوبنا ويجمعنا جميعا على محبته وطاعته، ومحبة رسوله (ﷺ) وآله، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف

د. إبراهيم مُحَمَّد خفاجة

المصادر

١-الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني.
٢-أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير.
٣-البداية والنهاية لابن كثير.
٤-تراجم سيدات بيت النبوة لعائشة عبد الرحمن.
٥-حياة الصحابة للكاندهلوي.
٦-حلية الأولياء لأبي نعيم.
٧-دلائل النبوة للأصبهاني.
٨-الرحيق المختوم للمباركفوري.
٩-رجال ونساء حول الرسول (ﷺ) لعبد الحميد هنداوي.
١٠-زاد المعاد لابن القيم.
١١-السيرة النبوية لابن هشام.
١٢-السيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي.
١٣-صور من حياة الصحابيات لعبد الرحمن رأفت الباشا.
١٤-فقه السيرة لمحمد الغزالي.
١٥-المبشرات بالجنة لمحمد على قطب.
١٦-موسوعة الحديث النبوي الشريف.
١٧-نساء مبشرات بالجنة لأحمد خليل جمعة.
١٨-نساء أهل البيت لأحمد خليل جمعة.
١٩-وقفات تربوية مع السيرة النبوية لأحمد فريد.